فجر الهدى والإيمان

عبد الله بن الزبير

أطفال حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم



إعداد الدكتور
محمد حسني مصطفى

مراجعة وتدقيق
أحمد عبد الله فرهود

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة إجمالية

عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، أبو بكر : فارس قريش في زمنه ، وأوّل مولود في المدينة بعد الهجرة ، شهد فتح إفريقية زمن عثمان ، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ ، عقيبَ موت يزيد بن معاوية ، فحكم الحجاز واليمن ومصر وخراسان والعراق وأكثر الشَّام ، وجعل قاعدة ملكه المدينة ، وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة ، حتّى سيَّروا إليه الحجّاج الثّقفي في أيّام عبد الملك بن مروان ، فانتقل إلى مكّة ، وعسكر الحجّاج في الطّائف ، ونشبت بينهما حروب انتهت بمقتل ابن الزبير في مكّة ، بعد أنْ خذله عامّة أصحابه وقاتل قتال الأبطال ، وهو في عَشْرِ الثمانين .

كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما من خطباء قريش المعدودين ، يُشبَّهُ في ذلك بأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه . مدّة خلافته تسعُ سنين ، وكان نقشُ الدّراهم في أيّامه ، بأحد الوجهين . (محمد رسول الله) وبالآخر : (أمرَ الله بالوفاء والعدل) . وهو أوّل منْ ضربَ الدراهم المستديرة . وله في كتب الحديث ثلاثة وثلاثون حديثاً .

مبايعته للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

تسامى الكبار ، فحذا حذوهم الصّغار ، فإذا بطفل في السابعة من عمره يبايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطّاعة ، والتزام تعاليم الإسلام الحنيف .

أخرج الطبراني عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم أنهما بايعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهما ابنا سبع سنين ، فلمّا رآهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبسَّم وبسط يده ، فبايعهما .

شربه من دم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

أخرج أبو يعلى والبيهقي في الدلائل عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنَّ أباه (عبد الله بن الزبير) حدَّثه أنَّه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحتجم ، فلما فرغ قال : يا عبد الله ، اذهب بهذا الدَّم فأهْرِقْهُ حيثُ لا يراك أحد . فلما برز عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمد إلى الدم فشربه . فلما رجع قال : يا عبد الله ، ما صنعت بالدّم ؟ قال : جعلته في أخفى مكان علِمْتُ أنَّه يخفى على الناس . قال : لعلّك شربته ؟ قال : نعم . قال : ولِمَ شربتَ الدم ؟ ويلٌ للنّاس منك ، وويلٌ لك من الناس .

في رواية أخرى أنّه عندما سأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ولِمَ شربتَ الدَّم ؟ قال : أحْبَبْتُ أن يكون دم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جوفي . فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يده على رأس ابن الزبير ، وقال : ويلٌ لك من الناس وويلٌ للناس منك ، لا تمسُّكَ النَّارُ إلاّ قسَمَ اليمين[1] .

يوم الخندق ويوم اليرموك

أُعدَّ للنساء والأطفال يوم الخندق أُطُمٌ ، أي حصنٌ ، اتّقاء العدوّ ، فكان عبد الله بن الزبير يلعب مع عمر بن أبي سلمة ، قال ابن الزبير : فجعل يُطأطِئ لي ، فأصعَدُ على ظهره ، فأنظر ..

وكان ابن الزبير رضي الله عنهما يناهز العاشرة يوم اليرموك ، أو يزيد على ذلك قليلاً ، فحمله أبوه على فرس ، ووكّل به رجلاً .

جود أسماء وعائشة رضي الله عنهما

أخرج البخاري في الأدب المفرد عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : ما رأيتُ امرأتين أَجْوَدَ من عائشة وأسماء رضي الله عنهما ، وجُودُهُما مختلف ، أمّا عائشة فكانت تجمعُ الشيء إلى الشيء ، حتى إذا كان اجتمع عندها قسَّمَتْ[2] . وأمّا أسماء فكانت لا تُمسِك شيئاً لغدٍ .

---

[1] يشير عليه الصلاة والسلام إلى قوله تعالى : (وإن منكم إلاّ واردها) . ﴿ سورة مريم ٧١ ﴾ .

[2] قسَّمتْ : وزَّعتْ .

وقوفه مع عثمان
ورغبته في مناصرته رضي الله عنهم أجمعين

مكَرَ السبئيّة والرَّعاعُ بعثمان رضي الله عنه ، وكان يَحِلُّ له أنْ يجاهدهم ، ولكنه آثرَ أنْ يكون عبد الله المقتول ، واتّبع سنة هابيل ، ومنْ يقرأ سيرته يجدْه ملَكاً من البشر ، أو رجلاً ذا نفسٍ ملكيّة[1] .

وقال له عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما :

يا أميرَ المؤمنين ، قاتلْهم ، فوالله لقد أحلَّ اللهُ لكَ قتالَهم .. إنَّ معك في الدّار عصابةً مستنصِرةً بنصر الله .

فقال : لا والله ، لا أُقاتِلُهم أبداً .

قال ابن الزبير : فأْذَنْ لي فلأُقاتِلْ

فناشده الله ألاّ يفعل .

قال ابن سيرين : كان مع عثمان يومئذ في الدار سبعمائة لو يدَعُهم لضربُوهم[2] إنْ شاء الله حتى يخرجوهم من أقطارها[3] ، منهم ابن عمر ، والحسن بن عليّ ، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم .

فضل الحراسة في سبيل الله

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : قال عثمان بن عفّان رضي الله عنه : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (حرسُ ليلةٍ في سبيل الله تعالى أفضلُ من ألف ليلة يقام ليلُها ، ويُصام نهارها) .

---

(1) ملكيّة : نسبة إلى الملائكة . (2) لضربوهم : أي لضربوا أهل الشغب .

(3) أقطارها : أي أقطار المدينة المنوّرة .

من الخير ألاّ يحبّ المرءُ أن يقوم له النّاس

خرج معاوية رضي ا لله عنه ، وعبد ا لله بن عامر ، وعبد ا لله بن الزبير رضي ا لله عنهم قعودٌ ، فقام ابن عامر ، وقعدَ ابن الزبير ، وكان أوزنهما . فقال معاوية رضي ا لله عنه : قال النبيّ صلى ا لله عليه وآله وسلم : (منْ سرَّهُ أنْ يَمْثُلَ لهُ عِبادُ ا لله قياماً فلْيَتَبَوَّأْ[1] بيتاً من نار) .

الاختصام في الآخرة

قال عبد ا لله بن الزبير رضي ا لله عنهما : لّما نزلتْ : (إنّكَ ميِّتٌ وإنّهم ميّتون ﴿ ثمَّ إنَّكم يومَ القيامة عند ربِّكم تختصمون)[2] قال الزبير رضي ا لله عنه : يا رسول ا لله أتُكرَّرُ علينا الخصومة ، أي هل تختصم في الآخرة ، كما اختصمنا في الدّنيا ؟

قال صلى ا لله عليه وآله وسلم : نعم ، ليُكَرَّرْنَ عليكم حتى يُؤدَّى إلى كلِّ ذي حقٍّ حقُّه .

قال الزبير رضي ا لله عنه : وا لله إنَّ الأمرَ إذاً لشديد .

ما كان يقوله إذا سمع الرعد

كان عبد ا لله بن الزبير رضي ا لله عنهما إذا سمع الرعد يقول :

سبحان الذي يسبِّح الرَّعْدُ بحمده ، والملائكةُ من خيفَتِهِ ، ثم يقول : إنّ هذا لوعيدٌ شديد لأهل الأرض .

تعلّم ابن الزبير اللُّغات

كان لابن الزبير رضي ا لله عنهما مائة غلام ، يتكلّم كلّ غلام منهم بلغة من اللغات ، فكان ابن الزبير يكلّم كلَّ واحدٍ منهم بلغته . قال عمر بن

---

[1] يتبوّأ : ينزل .

[2] سورة الزمر ٣٠ – ٣١ .

قيس ، وهو ناقل هذا الخبر : فكنتُ إذا نظرتُ إليه في أمر دنياه قلتُ : هذا رجل لم يردِ ا للهَ طرفة عين ، وإذا نظرتُ إليه في أمر آخرته قلتُ : هذا رجل لم يرد الدّنيا طرفةَ عين .

اجتهاده في العبادة

قال مجاهد : بلغ ابن الزبير رضي ا لله عنهما من العبادة ما لم يبلغ أحد ، وجاء سيل فحالَ بينَ الناس وبين الطَّواف ، فجاء ابن الزبير فطاف أسبوعاً سباحة .

وقالت أمّه أسماء رضي ا لله عنها : كان – أي ابنها عبد ا لله – قوَّام اللّيل صوَّام النَّهار ، وكان يسمَّى حمامة المسجد .

قال مجاهد أيضاً : كان (عبد ا لله بن الزبير) يقوم في الصَّلاة كأنَّه عود (منْ الخُشوع) .

وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء (٣ / ١٦٧) عن عامر بن عبد ا لله بن الزبير قال : جئت أبي (عبد ا لله بن الزبير) فقال : أين كنتَ ؟ فقلتُ : وجدتُ أقواماً مارأيتُ خيراً منهم ، يذكرون ا لله تعالى فيُرْعَدُ أحدُهم حتى يُغشى عليه من خشية ا لله تعالى ، فقعدْتُ معهم .

قال : لا تقعدْ معهم بعدها .

فرأى كأنه لم يأخذ ذلك فيّ ، فقال : رأيتُ رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم يتلو القرآن ، ورأيت أبا بكر وعمر رضي ا لله عنهما يتلوان القرآن ، فلا يصِيبهم هذا ، افتراهم أخْشَعَ لله تعالى من أبي بكر وعمر ؟

وواضح أنَّ ابن الزبير رضي ا لله عنهما لم يكفّر ولم يشنّعْ على أصحاب تلك الطريقة ، إنّما اتَّخذ له سبيلاً غيرَها ، تهدي أيضاً إلى ا لله ، وهذا يعني أنّه منذ عهد الصحابة رضوان ا لله عليهم أجمعين قد عُرِفَ أكثر

من مذهب تعبُّدي ، كما عُرِفَ أيضاً لديهم أكثر من مذهب فقهي ، وهذه الاختلافات إنْ هي إلاّ رحمة للمؤمنين ، فكلٌّ يختار منها ما يقتنع به ، ولا ضيرَ ولا ضرر على إسلامه ، لأنها متّفقة في الأساس ، متغايرة في بعض الفرعيات التي ورد فيها أكثر من دليل . فمن أدّى به بحثه العلمي إلى الاطمئنان إلى دليل دون دليل ، أخذ به ، ويضاف إلى ذلك أسباب أخرى تعوذ إلى طبيعة اللغة ، وأنّها حمّالة أوجهٍ ، أو تعود إلى ميل المرء إلى الروحانية أو إلى تحرِّي الأدلّة ، أو إلى غير ذلك ممّا فصَّله العلماء .

هذه المذاهب المبكّرة منذ عهد الصحابة رضوان ا لله عليهم هي التي أورثت المسلمين أكثر من منحى ، في التَّعبُّد ، والفقه ، والسياسة ، فإذا احتمل بعضهم بعضاً ، ووسِعَه ، وتقبَّله بقبول حسن ، وإنْ لم يذبْ فيه ، كانوا بخير عميم . ذلك ما لم يصل الخلاف حدًّا ينْفُذ منه غير المسلمين إلى دينهم ، فيحرِّفوه ، ويحمِّلوه ما لا يقبله كتاب ا لله تعالى ولا سنّة نبيّه صلى ا لله عليه وآله وسلم .

دولة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

مذاهب الصحابة رضي ا لله عنهم في التعبّد والتفقه والسياسة تجلّتْ في موقف عبد ا لله بن الزبير رضي ا لله عنهما من تيارات عصره ، وكان عبد ا لله أقوى أهل عصره جسماً ، وكان فقيهاً ، وله اجتهاد خاصٌ خالف فيه الجماعة ، وهو أنّه كان يواصل الصَّوم أسبوعاً تامّاً لا يأكل فيه ولا يشرب ، قالوا : فلمّا تقدّم به العمر كان يكتفي بمواصلة ثلاثة أيّام[1] .

[1] هكذا نُقِل عنه ، وقد يكون المراد أنّه كان يصوم أسبوعاً ، صوماً عاديّا ، فيه إفطار عند المغرب ، ثم يتوقّف ثم يصوم ، ثم جعل يصوم ثلاثة أيام ثلاثة أيّام .

وكان في عصره ثلاثة تيّارات سياسية ،بنو أميّة ،وأنصار الإمام عليّ ، والخارجون عليه ، فأضاف ابن الزبير تيّاراً رابعاً هو (الزبيريّون) .

وعلى شاكلة المتنافسين في السياسة كان كل حزب من هؤلاء يدعو لنفسه ، ويبرز أخطاء الأحزاب الأخرى ، وكانت تتمّ هذه المفاضلة أحياناً بأسلوب يراقب مسائل الغيبة ، والنّميمة فيتورّع ، وأحياناً كان يتّخِذ شكل الحرب الطّاحنة .

وخالف ابنُ الزبير بني أميّة ، ورأى أن قصبة ملكهم ينبغي أن تكون في المدينة المنورة ، لا في دمشق ، وأخذ على معاوية رضي ا لله عنه أنْ ولّى ابنه يزيد من بعده .

وبدا تمرّده في عهد يزيد ، ولا سِيّما بعد مقتل الحسين رضي ا لله عنه ، لا انتصاراً للسِّبطِ ، وإنّما كي يقطف ثمرة النّقمة على قاتليه لمصلحة سياسته ، وابنُ الزبير كان يتوقّع مصرع الحسين ، لكنّه عندما استشاره في السَّفر إلى العراق ليواجه بني أميّة شجَّعه .

وأرسل يزيد جيشاً لإخماد حركة ابن الزبير ، ففتَكَ بأهل المدينة ، وتألّم كثيرون لهذا الانشقاق في الصَّف الإسلامي ، فقال عبيد ا لله بن قيس الرّقيّات ، وكان شاعر ابن الزبير :

حبَّذا العيشُ حين قومي جميعٌ ... لم تفرّقْ أمورها الأهواءُ
حينَ لم تطمعِ القبائلُ في مُلْـ ... ـك قريش وتشمت الأعداء
أيّها المشتهي فناء قريشٍ ... بيدِ ا للهِ عمرُها والفناء
إنْ تودِّعْ من البلادِ قريشٌ ... لا يكنْ بعدَهمْ لحيّ بقاءُ

واعتزل كثير من المسلمين الفتنة ، فعهْدهم أنّ طاقات المسلم معدَّة لجهاد الكفّار لا المسلمين ، وتجلّى ذلك في مثل قول ابن عمر رضي ا لله عنهما لّما دُعِي إلى الانتماء والقتال ، وقيل له : فما يمنعك أن تخرج ؟ فقال :

يعني أنّ الله حرّم دم أخي (المسلم) . وقال لابن الزبير : والله لا أبايعكم وأنتم واضعو سيوفكم على عواتقكم تصبَّبُ[1] أيديكم من دماء المسلمين .

وسألوه لِمَ تصلّي مع هؤلاء ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضاً . فقال : منْ قالَ حيّ على الصلاة أجبْتُه ، ومنْ قال : حيَّ على الفلاح أجبته ، ومنْ قال حيَّ على قتل أخيك المسلم ، وأخذِ ماله ، قلت : لا .

وقال أسامة بن زيد رضي الله عنه : لا أقاتل رجلاً يقول لا إله إلاّ الله أبداً .

على أنَّ يزيد بن معاوية عجز عن إخماد ثورة ابن الزبير ، ومات يزيد والثورة قائمة ، فخلفه ابنه معاوية الثاني ، وكان رجلاً سهْلاً سمحاً ، فتورّع عن مجابهة المسلمين ، واستقال ، هنالك أعلن عبد الله بن الزبير أنه خليفة المسلمين ، وكان عبد الله ذا سُمْعَة طيّبة ، وكان كثير العبادة ، مجاهداً له قدمْ صدق في فتوحات إفريقية ، وهو ابن الصّحابيين الجليلين : الزبير وأسماء ، فبايعه الحجاز والعراق وخراسان ومصر ، وبايعه والي حمص النعمان بن بشير رضي الله عنه ، ويمكن القول باختصار لو أنّ دمشق بايعته لتمّ الأمر له .

ولكن مروان بن الحكم عقد مؤتمراً عاجلاً في الجابية حضره زعماء بني أميّة ، ونادوا بمروان خليفة على المسلمين ، فانتفضت حمص على النعمان فغادرها ، فتبعه بعض الأجناد المتعصبين للأموية وقتلوه ، فصارت الشام لمروان . ولكنه لم يعش طويلاً بعد ذلك ، وجاء بعده ابنه عبد الملك ، فجرّد الحجّاج على ابن الزبير ، فانتصر عليه ، وقتله سنة ٧٣هـ . وعادت البلدان التي كانت تواليه للمروانيين .

---

[1] تصَبّب : تتصبّب .

خطبة لابن الزبير في موسم الحجّ

خطب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وهو خليفة ، في يوم التّروية ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أمّا بعد ، فإنّكم جئتم من آفاق شتّى وفوداً على الله تعالى ، فحقّا على الله أن يكرمَ وفدَه[1] ، فمن جاء يطلب ما عند الله فإنّ طالب الله لا يخيب ، فصدّقوا قولكم بفعل ، فإنَّ ملاك القول الفعل ، والنّيّة نيّة القلوب ، الله الله في أيّامِكم هذه ، فإنها أيامٌ يغفر فيها الذنوب ، جئتم من آفاق شتّى في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجون ههنا . ثمّ لبّى ولبّى النّاس . وتكلّم بكلام كثير .

ثمّ قال : أما بعد فإنّ الله عزّ وجلّ قال في كتابه (الحجُّ أشهر معلومات)[2] وهي ثلاثة أشهر : شوّال وذو القعدة ، وعَشْرٌ من ذي الحجّة (فمن فرض فيهنّ الحجّ فلا رفث) (أي) لا جماع ، (ولا فسوق) (أي) لا سباب[3] ، (ولا جدال) لا مِراء ، (وما تفعلوا من خيرٍ يعلمه الله ، وتزوّدوا فإنَّ خيرَ الزّادِ التّقوى) .

---

(1) حقا : مفعول مطلق لفعل محذوف . والمصدر المؤول (أن يكرم : فاعل للمصدر حقّا .

(2) سورة البقرة ١٩٧ .

(3) ولا معصية .

وقال عزَّ وجلّ : (ليس عليكم جُناحٌ أنْ تبتغوا فضلاً من ربّكم) فأحلَّ لهم التّجارة ، ثم قال : (فإذا أفضتم من عرفات) وهو الموقف الذي يقفون عنده حتى تغيب الشمس ، ثم يُفيضون منه (فاذكروا ا لله عند المشعر الحرام) وهي الجبال التي يقفون عندها (بالمزدلفة) (واذكروه كما هداكم) ليس هذا بعامٍّ ، هذا لأهل البلد ، كانوا يفيضون من جمع ، ويفيض الناس من عرفات ، فأبى ا لله لهم ذلك ، فأنزل (ثمّ أفيضوا من حيثُ أفاض النّاس واستغفروا ا لله ، إنّ ا لله غفور رحيم . فإذا قضيتم مناسِكَكُمْ) .

وكانوا إذا فرغوا من حجّهم تفاخروا بالآباء ، فأنزل ا لله عزَّ وجلّ (فاذكروا ا لله كذِكركم آباءَكم أو أشدَّ ذِكْراً ، فمن الناس مَنْ يقولُ ربَّنا آتِنا في الدُّنيا وما له في الآخرة من خلاق . ومنهم مَنْ يقول : ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النّار) .

يعملون في دنياهم لآخرتهم ودنياهم ...

من خطبة أخرى له

عن العبّاس بن سهل قال : سمعتُ ابن الزبير يقول في خطبته على منبرِ مكّة :

يا أيّها الناس ، إنَّ رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم كان يقول : (لو أنَّ ابن آدمَ أُعطِي وادياً من ذهب ، أَحَبَّ إليه ثانياً ، ولو أُعطي ثانياً ، أحَبَّ إليه ثالثاً ، ولا يملأُ جوف ابن آدم إلاّ التُّراب ، ويتوبُ ا لله على مَنْ تاب) .

من خطبة أخرى

أخرج أحمد (٤ / ٥) عن أبي الزبير قال : سمعت عبد ا لله بن الزبير يحدّث على هذا المِنبر ، وهو يقول : كان رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله

وسلم إذا سلَّم في دُبُرِ الصلاة يقول : (لا إلهَ إلا ا لله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمدُ ، وهو على كل شيء قدير ، لا حولَ ولا قوَّة إلاّ با لله ، ولا نعبُدُ إلاّ إيَّاه ، أهلُ النعمة والفضل والثناء الحسن ، لا إله إلاّ ا لله مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون) .

موعظة لابن الزبير

أخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٣٦) عن وهْب بن كيسان قال : كتب إليَّ عبد ا لله بن الزبير رضي ا لله عنهما بموعظة :

أمّا بعد ، فإنّ لأهل التّقوى علاماتٍ يُعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم ، منْ صبر على البلاء ، ورضىً بالقضاء ، وشَكرِ النّعماء ، وذلٍّ لحكم القرآنِ ، وإنّما الإمام كالسّوق ، ما نَفَقَ فيها حُمِلَ إليها ، إنْ نفق الحقّ عنده حُمل إليه وجاءه أهل الحقّ ، وإن نفق الباطل عنده جاءه أهل الباطل ونفق عنده .

حرصه على صلة الرحم

كان عبد ا لله بن الزبير رضي ا لله عنهما أحبَّ البشر إلى عائشة رضي ا لله عنها بعد النبيّ صلى ا لله عليه وآله وسلم وأبي بكر رضي ا لله عنه ، وكان أبرَّ الناس بها ، وكانت لا تُمسِكُ شيئاً مّما جاءها من رزق ا لله إلاّ تصدَّقتْ .

فقال ابن الزّبير : ينبغي أنْ يُؤخذَ على يديها .

أو قال : وا لله لتَنْتَهِينَّ عائشة أو لأَحْجرنَّ عليها .

فقالت : للهِ عليَّ نذْرٌ ألاّ أكلّمَ ابن الزبير أبداً .

فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة . فقالتْ : لا وا لله لا أشفّعُ فيه أبداً ، ولا أتحنَّثُ إلى نذْري .

فلمّا طال ذلك على ابن الزبير كلَّم المِسْوَرَ بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود رضي ا لله عنهما ، وهما من بني زُهْرة ، أخوال النبيّ صلى ا لله عليه وآله وسلم ، وقال لهما : أنشدكما با لله لمّا أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحلّ لها أنْ تنْذر قطيعتي .

فأقبل المِسور وعبد الرحمن حتى استأذنا على عائشة ، فقالا : السلام عليك ورحمة ا لله وبركاته ، أندخل ؟

قالت عائشة : ادخلوا .

قالوا : كلّنا .

قالت: نعم . ادخلوا كلكم . ولا تعلمُ أنّ معهما ابن الزبير . فلمّا دخلوا اقتحم ابن أختها (عبد ا لله بن الزبير) الحجابَ ، فاعتنق عائشةَ ، فطفِقَ يناشدُها ويبكي ، وطَفِقَ المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلاّ ما كلّمته وقبلتْ منه ، ويقولان : إن النبيّ صلى ا لله عليه وآله وسلم نهى عمَّا قد علمتِ من الهجرة ، وإنّه لا يحِلَّ لمسلمٍ أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث ليال .

فلما أكثروا على عائشة من التَّذكرة والتَّحريج طفقت تذكّرُهما وتبكي وتقولُ : إنّي نذرْتُ والنَّذْر شديد ، فلم يزالا بها حتى كلّمت ابن الزبير ، وأعتقتْ في نذرها ذلك أربعين رقبة .

وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبلّ دموعُها خِمارَها .

خاتمة

عبد ا لله بن الزبير بن العوّام بن خويلد الأسدي ، أمُّه أسماءُ بنت أبي بكر ، رضي ا لله عنهم ، وُلِدَ عام الهجرة ، وحفِظ عن النبيّ صلى ا لله عليه وآله وسلم وهو صغير ، وحدَّثَ عنه ، وعن أبيه الزبير ، وعن أبي بكر وعمر وعثمان ، وعن خالته عائشة ، وهو أحد العبادلة وأحد الشّجعان من

الصحابة ، وأحدُ منْ ولِيَ الخلافة منهم ، يكنى أبا بكر ، وهـي كنيـة أطلقها عليه النبي صلى ا لله عليه وآله وسلم ، وكان يُكنى أبا خبيبٍ أيضاً ، وخبيب ولده ، روى عنه أخوه عروة وابناه عامر وعبّاد وابن أخيه محمد بـن عـروة ، وعبيدة بن عمر وعطاء وطاوس وعمرو بن دينار ووهـب بـن كيسـان وابـن أبي مليكة وسماك بن حرب وأبو الزبير وثابت الكناني .

وبويع بالخلافة سـنة ٦٤هـ ، ولم يكـن يعطـي الشـعراء إذا أطـروهُ أو تملّقوهُ ، وهو أوّل مولود للمهاجرين بعـد الهجـرة ، وحنّكـه النـبي صلـى ا لله عليه وآله وسلم ، وسمَّاه وكنّاه ، قالت أسماء رضـي ا لله عنهـا : حملْـتُ بعبـد ا لله بن الزبير بمكّة ، فخرجـتُ وأنـا متـمّ[1] فـأتيت المدينـة ، ونزلـت بقبـاء ، فولدته ، ثـمّ أتيـتُ بـه رسـول ا لله صلـى ا لله عليـه وآلـه وسـلم فوضعتـه في حُجره ، فدعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه ، فكان أول شيء دخل في جوفه ريق النبيّ صلى ا لله عليه وآله وسلم ، ثمّ حنّكه بالتمرة ، ثمّ دعا له .

وقد جمع النبي صلى ا لله عليه وآله وسـلم أبنـاء المهـاجرين والأنصـار الذين وُلِدوا في الإسلام ، وترعرعـوا ، فوقفـوا بـين يديـه ، فبـايعهم وجلـس لهم ، وأوّل منْ تقدّم منهم للمبايعة عبد ا لله بن الزبير ، فتبسَّم له رسـول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم ، وقال : إنّه ابن أبيه .

[1] أي متمة للشهر التاسع من الحمل

وشَهِدَ ابن الزبير اليرموك مع أبيه ، وشهد فتح إفريقية ، وكان البشير بالفتح إلى عثمان ، ووقف معه يوم الدار ، ثم شهد الجمل مع عائشة ، وكان على الرَّجّالة ، وجُرِحَ جراحات كثيرة ، وأُخِذَ من وسط القتلى فكان فيه بضع وأربعون جرحاً ، فأعطت عائشة البشير الذي بشّرها بأنّه لم يمت عشرة آلاف ، ثم اعتزل ابن الزبير حروب عليّ ومعاوية ، ثم بايع لمعاوية ، ولكنّه لم يبايع ابنه يزيد وثار عليه ، فقامت بين جيش يزيد وبينه معركة الحرَّة في المدينة ، وبقي ابن الزبير إلى أنْ حاصره الحجّاج أيام عبد الملك ، وقتله ، سنة ٧٣هـ .

قال عبد ا لله بن عبّاس رضي ا لله عنهما وعن الصحابة أجمعين يصف عبد ا لله بن الزبير :

عفيفُ الإسلام ، قارئُ القرآن ، أبوه حواريّ رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم ، وأمُّه بنت الصّدّيق ، وجدَّته صفيَّة عمَّة رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم ، وعمَّة أبيه خديجة بنت خويلد .

وقال عمرو بن دينار : ما رأيتُ مصلّياً أحسن صلاة من ابن الزبير .